﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠﴾ [الشعراء: 116 - 120]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

لجوءُ نوحٍ إلى ربِّهِ بعد أن استشعر الخَطَرَ على نفسه ودعوته

بعد أن حاول أكابرُ قوم نوح ﷺ صدَّ نوح ﷺ عن قبول إيمان ضعاف النّاس، وفي جعْلِهِ إيمانًا خالصًا بأكابرهم، حينها أعلمهم نوح ﷺ بأنَّ الإيمان لا يُميّز بين صغيرٍ وكبيرٍ، أو ضعيفٍ وقويٍّ، أو ذَكَرٍ وأنثى، وأنَّ حساب النّاس يكون على اللّه وحده؛ فناسب أن يذكر هنا ردَّ فعلِ المستكبرين بالإنكار على نوح دعوتَهُ، تلك التي لا تميِّز بين السَّيِّد والعبد، أو القويِّ والضعيف، فأمروه بالانتهاء عن ذلك وإلّا رُجم وقُتل، فلجأ نوح إلى ربِّه بالدُّعاء بعد أن علم خطرَ هؤلاء عليه، وعلى دعوته.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَنتَهِ﴾: أَصْلُ (نهي) يَدُلُّ على غايةٍ وبُلوغٍ، ومنه: أَنهَيتُ إليه الخَبَرَ: بَلَّغْتَهُ إيّاهُ، ونِهايَةُ كُلِّ شيءٍ: غايتُه، ومنه: نهَيتُهُ عنه، وذلكَ لأمرٍ يفعلُه، فإذا نهَيتُه، فانتَهى عنكَ؛ فتلكَ غايَةُ ما كانَ وآخِرُهُ[1]، والإنْهاءُ: الإيصالُ والإبلاغُ[2]، والنَّهي: الكَفُّ عَنِ الشَّيءِ والمَنْعُ منه، تَقولُ: نَهاهُ؛ إذا كَفَّهُ، ومَنَعَهُ عَنْ شيءٍ ما، ومنه: النُّهْيَةُ، وهي العَقْلُ؛ لأنَّه يَمنَعُ صاحِبَهُ مِنَ القَبيحِ[3]، والمقصود بالنَّهي في الآية: طَلَبُ تَرْكِ الفِعْلِ بالقولِ على وجْهِ الاستعلاءِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (نهي).
(3) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (نهي).

2) ﴿ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾: أصلُ (رجم) الرَّميُ بالحِجارَةِ، ثُمَّ يُستعارُ ذلكَ، مِن ذلكَ: الرِّجامُ، وهي الحِجارَةُ، يُقالُ: رُجِمَ فُلانٌ؛ إذا ضُرِبَ بالحِجارةِ[1]، والرَّجَمُ - بفتح الجيم: القَبْر، سُمّي رَجَمًا؛ لما يُجْمَعُ عليهِ من الأحجار والرِّجام[2]، والرَّجم أيضًا: السَّبُّ والشَّتْم، ومنه قَولُه تعالى حكايةً عَن أبي نبيِّ اللّه إبراهيمَ لابنِهِ إبراهيمَ عليهما السلام: ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: 46]، أَيْ: لأَسُبَّنَّكَ، وأَشْتُمَنَّكَ، والرَّجيمُ في نعت الشَّيْطان المرجومُ بالنُّجوم[3]، والرَّجمُ في الآية مُرادٌ بهِ: القتْلُ بالحِجارةِ رميًا[4].

3) ﴿فَٱفۡتَحۡ﴾: أصلُ (فتح) يدلُّ على خلافِ الإغلاقِ، يُقالُ: فتَحْتُ البابَ وغيرَهُ فتْحًا، ثُمَّ يُحمَلُ على هذا سائرُ ما في هذا البِناءِ، فالفَتحُ والفِتاحَةُ: الحُكْمُ، واللّه تعالى الفاتحُ، أي: الحاكِمُ[5]، والمِفْتَحُ والمِفتاحُ: ما فُتِحَ به الشَّيءُ[6]، وفاتِحَةُ كلِّ شيءٍ: مبدؤُهُ الَّذي يُفتح به ما بعده[7]، والفَتْحُ في الآية مُرادٌ به الحُكْمُ.

4) ﴿وَنَجِّنِي﴾: أصلُ النَّجاء: الانفصالُ مِنَ الشَّيء، ومنه: نَجا فلانٌ من فلانٍ، وأَنْجَيْتُهُ، ونَجَّيْتُهُ، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النمل: 53][8]، والنَّجاةُ: الخَلاصُ ممّا فيهِ المَخافَة، ونَظيرُها السَّلامَة، والتَّنجيةُ: الإنجاءُ، وهو جعلُ الآخر ناجيًا[9]، والنَّجْوَةُ والنَّجاةُ: المكان المرتفع الذي تظنُّ أنَّه نَجاؤُكَ لا يعلوه السَّيلُ[10]، والمقصودُ في الآية: الخلاصُ مِنْ ضُرٍّ واقِعٍ.

5) ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾: أصلُ (فلك) يدلُّ على استِدارَةٍ في شَيءٍ، مِنْ ذلكَ فلْكَةُ المِغْزَلِ بِفَتْحِ الفاءِ، سُمّيَتْ لاستِدارَتِها[11]، وفَلَكُ كُلِّ شَيْءٍ: مُسْتدارُهُ ومُعْظَمُهُ، وفَلَكُ البَحْرِ: مَوْجُهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجم).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجم).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجم).
(4) المراغي، تفسير المراغي: 19/ 83.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (فتح).
(6) ابن سيده، المُحكَم: (فتح).
(7) الراغب، المفردات: (فتح).
(8) الراغب، المفردات: (نجو).
(9) الزبيدي، تاج العروس: (نجو)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 130.
(10) الجوهري، الصحاح: (نجا).
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (فلك).

المسْتَدير المتردِّد[1]، ومِنْ هذا القياسِ فلَكُ السَّماءِ: مَجرى الكواكب[2]، والفُلْكُ: السَّفينةُ، يُذَكَّرُ، ويُؤَنَّثُ، ويكونُ جَمعًا للسُّفُنِ، ويُجْمَعُ على الفُلوكِ أيضًا[3]، والمُرادُ بالفُلْكِ في الآية: اسمٌ لمَرْكَبِ البَحْرِ، واسمُ جَمعٍ لهُ بصيغَةٍ واحِدَةٍ.

6) ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: أصلُ (شحن) يدلُّ على المَلْءِ[4]، الشَّحْنُ: مَلْؤُك السَّفينةَ وإتمامُك جهازَها كُلَّهُ، فهيَ مشحونة: مَملوءَة[5]، والشّاحِنُ: أعْظَمُ السُّفُن[6]، والشَّحْناءُ: عداوة امتلأتْ منها النَّفسُ[7]، والمُرادُ بالفُلْكِ المَشحونِ هنا: السَّفينةُ المملوءةُ.

7) ﴿أَغْرَقْنَا﴾: (غرق) أَصْلُ الغَرَقِ بُلوغُ الشَّيْءِ أَقْصَى نِهايَتِهِ[8]، فالغَرَقُ: نُزولُ الشَّيْءِ في الماءِ بِسَبَبِ ثِقَلِهِ، والغَريقُ: المَيِّتُ فيهِ، يُقالُ: غَرِقَ الرَّجُلُ في الماءِ، يَغْرَقُ غَرَقًا، أيْ: نَزَلَ فيهِ، وغَلَبَهُ الماءُ، فهَلَكَ بالاخْتِناقِ، أو كادَ، فهو غَرِقٌ وغارِقٌ وغَريقٌ، والجَمعُ: غَرْقَى[9]، ويأتي الغَرَقُ بِمعنى التَّعَمُّقِ والغَوْصِ، تَقولُ: غَرِقَ في الوَحْلِ، أي: غاصَ فيهِ نَحْوَ العُمقِ، وغَرِقَ الكَأْسُ، أي: امتَلأَ وبَلَغَ فيهِ الماءُ آخِرَهُ، والإغْراقُ: المُبالَغَةُ ومُجاوَزَةُ الحَدِّ[10]، والمُرادُ بالإغراقِ في الآية: الإلقاءُ في الماءِ المُستَبحِرِ الَّذي يغمُرُ المُلْقى، فلا يترُكُ له تنفُّسًا[11].

8) ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾: (بقي) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو الدَّوامُ، قالَ الخليلُ: يُقالُ: بَقيَ الشَّيءُ يَبْقَى بَقاءً، وهو ضِدُّ الفَناءِ[12]، واسْتَبْقَيتُ مِنَ الشَّيْءِ، أَي: تَرَكْتُ بَعْضَهُ، والبَقيَّة أَيضًا: ما بَقيَ مِنَ الشَّيْءِ[13]، والمُراد بالبقية في الآية: ما يفضَلُ من شيءٍ بعد انقضاءِ مُعظمه[14].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (فلك).
(2) الراغب، المفردات، والسمين، عُمدة الحُفّاظ: (فلك).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن سِيدَه، المحكم: (فلك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شحن).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (شحن).
(6) ابن عباد، المحيط في اللغة: (شحن).
(7) الراغب، المفردات، والسمين، عُمدة الحُفّاظ: (شحن).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غرق).
(9) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (غرق).
(10) ابن سِيدَه، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (غرق).
(11) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 75.
(12) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بقي).
(13) ابن منظور، لسان العرب: (بقي).
(14) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 493.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال قوم نوح له: لئن لم تنتهِ عمّا تدعو إليه من الطَّعن في آلهتنا؛ لنرجمنَّك بالحِجارة، ولنقتلنَّك بها، قال نوحٌ: يا رَبِّي إنَّ قَومي كذَّبوني فيما جئتُهم به مِن الحَقِّ، فلا نيَّةَ لهم في اتِّباعِه، فاحكُم بَيْني وبيْنَ قَومي حُكمًا مِن عندِك، تستأصِلُ، وتُهلِكُ به المُبطِلَ، ونجِّني وأتْباعي المؤمِنينَ مِن عذابِك الَّذي تُنزِلُهُ على المُبطِلينَ، فأنجَيْنا نوحًا ومَن حُمِلَ معه في السَّفينةِ المملوءةِ بالنّاسِ والحيواناتِ والطُّيورِ وغَيرِها، ثمَّ أغرَقْنا جميعَ الكافرين الَّذين بَقوا، فلم يَركَبوا السَّفينةَ[1].

الله تعالى هو الحَكَم العدل الَّذي يقضي بهلاك الظّالمين ونجاة المؤمنين

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفَضلِ في قوله: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾:

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ الجملةُ مُستأنفةٌ[2]؛ لأنَّ الجملةَ التي سبقتها كانت قولًا لسيِّدنا نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾؛ فتكون جملة: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ جواب عن سؤال افتراضيٍّ هو: (وماذا قال قوم نوح بعد أن قال لهم: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؟)، فجاء الجواب: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾، أي: انتهِ عن هذا الرأي والقول وإلّا رجمناك.

لجوءُ قومِ نوحٍ إلى إرهابه وتهديده بالرَّجمِ

دلالةُ مجيء اللّام في: ﴿لَئِن﴾:

في قوله: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ اللّام الدّاخلةُ على الشَّرط ليست بلام القَسَم، ولكنَّها زائدةٌ، وتُسمَّى الموطِّئةَ للقَسَم، فتكونُ مُؤذِنَةً بأنَّ جواب القَسَم منتظرٌ، أي: الشَّرط لا يصلح أن يكون جوابًا؛ لأنَّ الجوابَ لا يكون إلّا خبرًا[3].

رغبةُ قومِ نوحٍ في استجابة نوحٍ لرأيهم ومطلبهم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 604، والواحديّ، الوسيط: 3/ 358، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 83.
(2) الدعّاس، إعراب القرآن: 2/ 390.
(3) الزّركشيّ، البرهان: 3/ 46.

فائدةُ التَّعبيرِ بـ(إنْ) دون (إذا):

كـان لـدى قـوم نـوحٍ أمـلٌ في أن يستجيب لهم

تُستعمل (إنْ) في المعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في حصولها، والموهمة والنّادرة[1]، ولهذا استُعملت (إنْ)؛ لأنَّهم يشكّون أنَّ نوحًا سوف ينتهي عن هذا الأمر، أمّا (إذا) تكون للمقطوع بحصوله، وللكثير الوقع؛ فكان يأمل قوم نوحٍ أن يستجيب لهم نوحٌ لوما اقترحوه عليه.

سِرُّ إيثار نفي فعل الانتهاء: ﴿لَّمۡ تَنتَهِ﴾:

تحذيرُ نوحٍ من عدم تركِ دعوتِهِ

في قوله: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ جاء النَّفيُ بـ (لم) التي تنفي الفعل[2] المضارع وتجزمه، وتقلبُ زمنه إلى المضيِّ، فنُفي هنا فعل الانتهاء ﴿تَنتَهِ﴾، وجاء مع الشَّرط ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾، ومِن ثَمَّ أفاد الحاضر والمستقبل.

بلاغةُ النِّداء في الآية وسرُّ تكرار اسم نوح:

التَّهديدُ الصّريح بـالـرَّفـضـوخ والانصياع لهم أو الرَّجم

بعد أن كان ردُّ سيدنا نوح ﷺ حاسمًا في تبنّي قضيَّة الإيمان وعدم طرد المؤمنين، وأنَّه مبعوث من قبل الله تعالى لنشر الإيمان وحمايته، لا لردِّ النّاس وطردهم، فلما آيسهم من طرد أتباعه، ورأى قومُهُ ذلك منه؛ تحوَّلت نقمتُهم إلى إيذائهِ وطرده، وتوجَّهَ الاتِّهامُ نحوه، والغضبُ على شخصِهِ، فجاء تهديدهم له صريحًا، فذُكِرَ اسمُه الصَّريح، فسمَّوه باسمه جفاءً وقلَّةَ أدبٍ، فقالوا: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾، أي: المقتولين، ولن ينفعك أحدٌ من أتباعك[3].

معنى اللّام ودلالتها في ﴿لَتَكُونَنَّ﴾:

تأكيد التَّهديد والوعيد

قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾؛ (اللام) لامُ القَسَم (تكوننَّ) مضارعٌ ناقصٌ مبنيٌّ على الفتح ﴿مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ مُتعلِّق بخبر (تكوننّ)[4]، فأكَّدوا رجمَهُ بأكثر من مؤكِّدٍ، منها: لام القَسَم، ونون

(1) السيوطي، الإتقان: 1/ 149.
(2) سيبويه، الكتاب: 1/ 460.
(3) البقاعيّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 376.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 19/ 100.

التَّوكيد الثَّقيلة؛ ليُعلمَ أنَّهم جادّون في إيقاع تهديدهم ووعيدهم بنوحٍ عليه السلام.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ (الرَّجم) مادةً وصيغةً:

الرَّجمُ بالحجارةِ هو المعنى الأنسبُ للسّياق

قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ على صيغة اسم المفعولِ للدَّلالة على ما سيؤولُ إليه حالُهُ، وأن قضيَّتك عندنا محسومةٌ نحو السوء، فلا يكون لك ناصرٌ ممّا أعددناه لك من العذاب، ولعلَّ هذه الصّيغةَ: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ دلَّت على الرَّجم بالحجارة؛ طردًا من البلدة، أو قتلًا وإنهاءً للدَّعوة.

المرجومون بين المَجازِ والحقيقةِ:

يحتملُ الرَّجم بالحجارةِ أو هو رَجم القول

الرَّجم: الرَّميُ بالحجارة، وقد غلب استعماله في القتل به[1]، فقالوا: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾، والمعنى أنَّهم خوَّفوه بأن يقتل بالحجارة[2]، وهذا المعنى على الحقيقة، ويحتمل أنَّهم أرادوا رجمَ القول؛ كالشَّتم ونحوه، وهو شبيهٌ برجم الحجارة، وهو من الرَّجم بالغيب والظَّنِّ ونحو ذلك[3]، وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدّي أنَّ المعنى من المشتومين على أنَّ الرَّجم مُستعارٌ للشَّتم كالطَّعن، وقيل: إنَّهم قالوا ذلك في أواخر الأمر[4].

غرضُ حذفِ متعلّق: ﴿ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾:

التوسُّع فيما يمكن أن يقع من تهديدِ أهل الكبر والكُفر ووعيدهم

خطابُ المعارضين لنوح عليه السلام إذ وجَّهوا خطابهم له، فقالوا: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾، والمعنى: (لئن لم تنتهِ عن أقوالك وأفعالك لنرجمنَّك، فنخلُص منك ومن أتباعك، وما أتيت به)، فحُذِفَ مُتعلِّقُ لنرجمنَّك؛ ليتيحَ للمتلقّي التَّوسُّع فيما يمكن أن يفعله هؤلاء برسول الله؛ ليُعلَمَ حجمُ التَّهديد والوعيد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 163.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 521.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 237.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 106، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 177.

الذي أطلقته هذه المجموعةُ المتكبِّرة، وما يمكن أن يلقاه الرَّسول والمؤمنون منهم، فاستحقَّ الأمرُ اللُّجوءَ إلى الله في الدُّعاء وطلب النَّصر منه سبحانه.

بلاغةُ الفصلِ في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾:

دعـاءُ الشَّكوى متوجِّهًا إلى الله

لمّا أَيس منهم بما سمع من المبالغة بالتأكيد في قولهم: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾، ورأى بما يصدقه من فعلهم؛ قال تعالى مُخبرًا عنه جوابًا لسؤال مَنْ يريد تعرُّف حاله بعد ذلك[1]: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾؛ فتكون هذه الجملة مُستأنفةً، وهي جوابٌ لسؤالٍ افتراضيٍّ مفادُهُ: لمّا سمع نوحٌ عليه السلام تهديدَهم الخطيرَ المُتمثِّلَ بعزمهم على القضاء عليه وعلى دعوته، ماذا قال أو فعل؟ فيأتي الجواب: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾، فلجأَ إلى الله بالتَّوجُّه والدُّعاء والشَّكوى، وطلب النَّصر له ولدعوته وللمؤمنين.

سِرُّ اختيار التعبير بالرُّبوبيَّة في: ﴿قَالَ رَبِّ﴾:

اللجوءُ إلى مَنْ هو كفيلٌ بحفظ دعوتِهِ ورسالتِهِ

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾؛ الرَّبُّ هو المُربّي، وهو الخالق والمُتكفِّل بحاجات العبادِ من الأرزاق والحفظ والحياة، فلمّا جاء التَّهديدُ من هؤلاء للنَّبيِّ؛ ناسب هُنا أن يلجأَ إلى ربِّهِ الذي هو كفيلٌ بحفظهِ ونجاته من شرِّهم، ومن تهديدهم بالرَّجم والإيذاء والقتل.

خروجُ الخبرِ ﴿إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ عن الغرض الأصلي:

شكوى نوح عليه السلام إلى الله توطئةٌ لـلـدُّعـاء على قومه

في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾، ليس الغرضُ منه إخبارَ الله تعالى بالتَّكذيب؛ لعلمه أنَّ عالمَ الغيب والشَّهادة أعلمُ، ولكنَّه أراد الشَّكوى إلى الله تعالى بما هو أعلمُ به منه؛ توطئةً للدُّعاء عليهم، وإلهابًا إليه وتهييجًا، مُعرضًا عن تهديدهم له صبرًا واحتسابًا[2]، فهو خبرٌ مُستعمَلٌ في إنشاء التَّحسُّر واليأس من

(1) البقاعيّ، أنوار التّنزيل: 5/ 376.
(2) البقاعيّ، أنوار التّنزيل: 5/ 376.

إقلاعهم عن التَّكذيب[1]، فإنَّ أعظم ما يُصيب الرَّسولَ من الشِّدَّة والتَّحسُّر عندما يُقابله قومه بالتَّكذيب والتَّهديد والوعيد.

دلالةُ التوكيدِ بـ ﴿إِنَّ﴾ هنا:

توكيدُ الشَّكوى إلى الله

في قوله: ﴿إِنَّ قَوْمِي﴾ جاءت (إنَّ)، وفائدتها التَّوكيد، وهو الأصل فيها، ويدور معها حيث وردت، وفي ذلك المعنى قال ابن النّاظم: "لتوكيد الحكم ونفي الشَّكِّ فيه أو الإنكار له"[2]، والمعنى توكيد شكوى إنكار القوم لنبيِّهم، وتكذيبهم للرِّسالة، وأنَّ الأمر قد بلغ حدَّ الوعيد بالرَّجم؛ بُغيةَ إنهاءِ الدَّعوة، فاستحقّوا الدُّعاء عليهم، وطلب الانتقام منهم.

سِرُّ إيثارِ لفظ ﴿كَذَّبُونِ﴾ مادةً وصيغةً:

التَّكذيبُ هو محورُ الإعراضِ والكِبْرِ والكُفرِ

في قوله: ﴿إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾، آثرَ لفظَ (التَّكذيب) دون التَّهديد أو الإنذار بالقتل؛ لأنَّ محورَ مهمَّته هو إيصال رسالة الإيمان والتَّوحيد إلى قومه، لكنَّهم كذَّبوه، وأعرضوا عن الإيمان بالله، فذَكَرَ التَّكذيب دون غيره؛ لأنَّه هو السَّبب الأوَّل في حدوث الإعراض والافتراء والتَّهديد، وذكر ﴿كَذَّبُونِ﴾ بالماضي؛ للدَّلالة على تحقُّق التَّكذيب ووقوعه[3].

بلاغةُ العطفِ في قوله: ﴿فَٱفْتَحْ﴾، ومعنى الفاء:

الطَّلبُ السَّريع في استجابة الدُّعاء

(الفاء) عاطفةٌ لربط المُسبَّب بالسَّبب[4]، ودلَّت على الطَّلب السَّريع، والدُّعاء الحاسم الأكيد، وفاءُ السَّبب قد تُفيد التَّعقيب أيضًا، فقوله: ﴿إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ هذا هو سببُ طلبِ الفتح، الذي سيأتي لاحقًا بعد قوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾، وقد ورد أنَّ فاءَ السَّبب لا يسقطُ فيها التَّعقيب من غير مهلةٍ، وإنَّما أن يكونَ شرطها مُسبَّبًا عن الأوَّل، كما لو صرَّح بالشَّرط[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 163.
(2) ابن النّاظم، شرح ألفيّة ابن مالك، ص: 65.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 163.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 19/ 101.
(5) ابن الحاجب، الأمالي النّحوية: 4.

اختيارُ لفظِ (الفتح) مادَّةً وصيغةً:

الـفـتّـاحُ هو الحاكمُ، وطلب الفتح بمعنى طلبِ الحُكم

أمّا صيغةُ فعل الأمرِ؛ فقد خرج الأمرُ إلى غرض الدُّعاء وطلب النُّصرة من الله تعالى وتأكيده بـ ﴿فَتْحًا﴾؛ لإرادة حُكم شديد، وهو الاستئصالُ[1] - وهذه استعارة - قد يكون المُرادُ بها: (فاحكم بيننا وبينهم حكمًا قاطعًا، وأمرًا فاصلًا)، ويُقال للحاكم: الفتّاح؛ لأنَّه يفتح وجهَ الأمر بعد اشتباهِه واستبهام أبوابه[2]، ودعا لنفسهِ ولِمَن آمن به بالنَّجاة، وفي ذلك إشعارٌ بحلول العذاب بقومه، أي: ونجِّني ممّا يحلُّ بهم، وقيل: ونجِّني من عملهم؛ لأنَّه سببُ العقوبة[3].

دلالةُ الظَّرف في (البيْن) المُضاف في الآية:

المُـفـاصـلـةُ بين الفريقَيْن

في قوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾، ولم يقل: (فافتح بيننا فتحًا)؛ فيكون في اللَّفظة طباقٌ، والتَّكرار لفائدة بيان المُفاصلة بين الفريقَيْن، وعزل كلِّ طرف عن الآخر حالةً وقدرًا، وقوله: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾، (بيني): ظرف مكانٍ منصوبٌ على الظَّرفيَّة مُتعلِّق بـ (افتح)، وبينهم: معطوفةٌ بالواو على ﴿بَيْنِي﴾، وتُعرب إعرابها[4].

جناسُ اشتقاقٍ حاصلٌ من إعادة لفظ ﴿فَتْحًا﴾ وإعرابه:

أن يكونَ فتحًا حاسمًا لا مَردَّ له من الله

إعادةُ لفظِ ﴿فَتْحًا﴾ أفادَ توكيدُ ذلك الفتح، والتَّأكيد على أنَّه فتحٌ حاسمٌ قاطعٌ لا شكَّ فيه، وقوله تعالى: ﴿فَتْحًا﴾، يجوز أن يكونَ مصدرًا مُؤكِّدًا، وأنْ يكون مفعولًا به، ويكون الفتح بمعنى المفتوح[5]، وأفاد تكرار ﴿فَتْحًا﴾ بصيغة المفعول: الاشتقاق، وبينه وبين فعل الأمر: ﴿فَٱفْتَحْ﴾ جناسٌ، وفائدته: أن يكونَ الفتحُ حاسمًا، لا مردَّ له من الله.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 163.
(2) التّويجريّ، الموسوعة القرآنية: 6/ 166.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 177.
(4) بهجت صالح، الإعراب المُفصَّل: 8/ 222.
(5) العكبريّ، التّبيان في إعراب القرآن: 2/ 999.

عكسُ الألفاظِ في قوله: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾:

العكس في قوله: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾، هو ردُّ آخر الكلام على أوَّله، وهذا مثل قوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزّمر: 5]، وهو تعاكسُ الجُملِ، فهذا النَّوعُ هو أنْ تُقدِّم في الكلام جُزءًا، ثُمَّ تعكس، فتُقدِّم ما أخَّرتَ، وتُؤخِّر ما قدَّمتَ، وفائدته هُنا: ظهورُ انسجام الألفاظ وترتيبها بالحال المرجوِّ تغيُّره، فدعاؤه ﷺ طلبًا لانعكاس الحال من الاستضعافِ إلى القوَّة، ومن الاسترذال إلى العزَّة، فانسجم اللَّفظ، والمعنى، واتَّفقا في ظاهرة الانعكاس.

الحالُ المرجوُّ تغيُّرُ ما هم فيه من الضَّعف والهوان

دلالةُ فعلِ الأمر في: ﴿وَنَجِّنِي﴾:

بعد أن قال: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ﴾، أيْ: (فاحكم بيني وبينهم)، والمُراد من هذا الحُكم إنزالُ العقوبةِ عليهم؛ لأنَّه قال عقِبَه: ﴿وَنَجِّنِي﴾؛ ولولا أنَّ المُراد إنزال العقوبة؛ لما كان لذكر النَّجاة بعدَهُ معنًى[1]، فاقتضى الدُّعاء عليهم، بمعنى: وأنجز حتفهم: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾، أي: في الدّين ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ممّا تُعذِّب به الكافرين[2]، فقد خرج الأمر ﴿وَنَجِّنِي﴾ إلى معنى طلب إنزالِ العقوبة بالكفار الذين توعَّدوا رسولَهم بالرَّجم.

الدُّعاءُ على أهل الكفر والضَّلال

بلاغةُ العطفِ في قولهِ: ﴿وَنَجِّنِي﴾:

الواو حرفُ عطف للجمع، والمعنى: (عند الفتح بيننا، خُذهم، ونجِّني ومَنْ معي)، وفائدة معنى الجمع: هو ضمان سرعة النَّجاة حال إيقاع العقوبة بقومه وإصابتهم بالعذاب.

الاحتراسُ في قوله: ﴿وَنَجِّنِي﴾:

أعقب الدُّعاء بالاحتراس بقوله: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، ومعنى هذا الاحتراس أنَّ نوحًا ﷺ طلب فتحًا له،

طَلَبَ أن يكون الفتحُ مصحوبًا بالنَّجاة له وللمؤمنين

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 521.
(2) البقاعيّ، أنوار التّنزيل: 5/ 376.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 163.

واحترس أنْ يكون هذا الفتحُ مصحوبًا بالنَّجاة له ولقومه في الحياة الدُّنيا، فقد يكون الفتح أُخرويًّا، فيُحشرون جميعًا، فيحكم الله بينهم، فأتبع دعاءه بقوله: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾.

سِرُّ تقديمِ الفتحِ على النَّجاةِ:

التَّدرُّج في الدُّعاء والطَّلب من الله تعالى

نلمحُ في النَّصِّ أسلوب التَّرقي في قوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ و﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ إذ بدأ بطلب الفتح بينه وبين قومه المعارضين لرسالته، وهو حُكم الله بين القوم وبين رسولهم الذي كذَّبوه، ثم ارتقى الطلب بعد الفتح بطلب نجاته، وضمَّ في طلب النَّجاة المؤمنين الذين آمنوا معه، فاحتراسُ خشية وقوع عذاب الله أن يُصيبَ القوم كلَّهم كافرهم ومؤمنهم، فاحترَسَ بذِكْر النَّجاة لنفسه، ولمَنْ معه مِنَ المؤمنين.

معنى (مَنْ) ودلالتها ومفهوم المعيَّة هنا:

معيَّةُ الرَّسول خصوصيَّةٌ عاليةٌ رفيعةٌ

(مَنْ) في قوله: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾ اسم موصول بمعنى (الذي)، وتختصُّ بأولي العلم، وهي تقع على المُفرد والمُثنَّى والجمع والمُذكَّر والمُؤنَّث، فشمل بذلك كلَّ واحدٍ من الذين آمنوا ذَكَرًا كان أم أنثى، ومعيَّة الرَّسول لها خصوصيَّة فريدة، وأهميَّة عظمى؛ فهؤلاء صحابتُهُ وخاصَّته ﷺ؛ وهم المؤمنون الصّادقون الصّابرون المُرابطون على الحقِّ.

إيثارُ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الوصفُ بالإيمانِ إكرامٌ للمؤمنين وبيانٌ قَبولِهِ منهم

قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أفاد تزكيةَ أتباع الرَّسول الذين قال عنهم الكفار: إنَّهم الأرذلون؛ فوصفهم الرَّسولُ بالمؤمنين؛ إكرامًا وحفظًا لهم ولسمعتهم وبيان قبول الله منهم الإيمان والثَّبات عليه، على الرَّغم ممّا واجهوه من الاسترذال والإهانة من القوم الذين لا يؤمنون، ثمَّ إنَّه قال: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: (الذين آمنوا)؛ لبيان ثبات صفة الإيمان عليهم، وأنَّهم غيرُ مُترددِّين في إيمانهم، بل إنَّ إيمانهم كائنٌ فيهم بعقيدةٍ راسخةٍ.

دلالةُ العطفِ في: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾، وإيثار الفعل مادَّةً وصيغةً:

العطفُ بالفاء في قوله: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ دلَّ على سرعة الإنجاء، فحرفُ الفاء يُفيد التَّرتيبَ والتَّعقيب بلا مُهلةٍ زمنيَّةٍ؛ فجاء إنجاؤه مع مجيء الفتح المُبين بينه وبين قومه.

سِرُّ إيثارِ ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ على (نجّينا):

النَّجاةُ المشهودةُ بالرِّعايةِ الإلهيَّةِ

قال البيان الحكيم: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾؛ ولم يقل: (نجَّيناه)، والفرق بينهما زيادة الهمزة، وأنَّ زيادة المبنى تُنبئ بزيادة المعنى، فدلَّ ذلك على حالة إنجاءٍ نادرة، مشهدها رعايةُ الله للفُلك المشحون، الذي أخذ قراره في الحمولة، فكان كُلُّ شيءٍ بقدرٍ مُسبقٍ من الله تعالى؛ فكان إنجاءُ نوح ﷺ منذ أوَّل يوم جاءه الأمر فيه بإنشاء السَّفينة وصناعتها، قال تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود: 37 - 38].

إيثارُ الضَّميرِ في ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ على الاسم الظَّاهر:

قال عزَّ من قائلٍ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ دون: (فأنجينا نوحًا)، وذلك للانسجام مع سرعة الاستجابة والإنجاء، فاختيار الضَّمائر إيجازٌ في الكلام، يُفيد الاختصار في السُّرعة.

نكتةُ التَّعبير بـ (نا) العظمة في ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾:

مكانةُ النَّبي وعلوُّ شأن الرِّسالة

لمّا كان في إهلاكهم وإنجائه ﷺ من بديع صنع الله ما يجلُّ عن الوصف، فقد أبرزه في مظهر العظمة، فقال: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾؛ إذ عبَّر بـ (نا) العظمة عن إنجائه مع الذين آمنوا معه على ضعفهم وقلَّتهم: ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾[1].

(1) البقاعيّ، أنوار التّنزيل: 5/ 376.

سرُّ تكرارِ المعيَّة، ومعنى ﴿فِي﴾ في الآية:

كرامةُ الصُّحبةِ والمعيَّة

في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾، كرَّر المعيَّة؛ ليدلَّ على استجابة دعائه كما دعاه؛ إذ إنَّ الله تعالى أهلك أعداءه، ونجّاه، ومَنْ معه من المؤمنين، وإبرازًا لما في المَعيَّة من كرامة صحبة الأنبياء، وتأييد لدعوتهم ونُصرة لهم.

أمّا معنى ﴿فِي﴾؛ فهي للوعاء؛ إذ إنَّ السّفينةَ قد احتوتهم كما يحتوي الوعاءُ الموادَّ والأشياء، فصارت حفظًا لهم بإذن الله، ومنجاةً لنوح عليه السلام ولصحابته من المؤمنين، الذين دعا لهم بالنَّجاة والنُّصرة بدينهم.

سِرُّ تعريف ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ باللّام، ودلالة وصفه بـ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾:

تعظيمُ شأنِ الفُلك التي حدثت بها الآية والنَّجاة

ذَكَرَ البيانُ القرآنيُّ الفُلك في قوله: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ مُعرَّفةً بـ (أل) التعريف دلالةً على التعظيم، وفي معنى قوله: ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ قال ابن عباس: الموقر، وقال عطاء: المُثقل[1]، ودلَّ وصفُهُ بالمشحون على أنَّ الذين نجوا معه كان فيهم كثرة، وأنَّ الفلك امتلأ[2]، وورد في سورة يس قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: 41]، فذكر الفُلك المشحون، وذَكَرَ حَملَ أولئك المؤمنين الذين خرجت منهم الذرّية البشريَّة.

معنى ﴿ثُمَّ﴾، وبلاغة العطف: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا﴾:

استحقاقُ كرامةِ إنجاء نوحٍ عليه السلام وطائفة المؤمنين

في قوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا﴾ جاء حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ للتَّراخي الرُّتبيِّ في الإخبار؛ لأنَّ إغراقَ أمَّةٍ كاملة أكبرُ دلالةً على عظيم القدرة من إنجاء طائفة من النّاس[3]، ولهذا قُدِّم إنجاءُ تلك الطّائفة على عظيم إغراق تلك الأمَّة؛ وذلك لما استحقَّه النَّبيُّ المُرسَل الأوَّل إلى

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 177.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 521.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 163.

النّاس، وهو نوح ﷺ من الكرامة هو ومَنْ آمن معه، ولمّا كان ذلك أمرًا باهرًا؛ عظَّمه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، أي: الأمر العظيم من الدُّعاء، والإمهال، ثم الإنجاء، وأخيرًا الإهلاك[1].

دلالةُ الإطنابِ في لفظ ﴿بَعۡدُ﴾، وإيثار لفظ ﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

إغراقُ مَنْ تبقَّى من قوم نوحٍ

جاء الإطناب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ﴾، وقد دلَّت: ﴿ثُمَّ﴾ على التَّراخي الرُّتبيُّ، فبعد أن نجَّى الله نوحًا ومَن معه من المؤمنين؛ أغرق مَن تبقَّى من قوم نوحٍ، و﴿بَعۡدُ﴾ دلَّت كذلك على المدلول نفسه، فهي من قبيل الإطنابِ؛ لما تضمَّنته كذلك من معنى التَّراخي والتَّعقيب، ثمَّ إنَّه لم يقل: (أغرقنا المُكذِّبين) أو (أغرقنا المُجرمين)، بل قال: ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ﴾، فأغرق كلَّ الذين لم يكونوا مع نوح ﷺ في السَّفينة، فكان إغراقًا شاملًا؛ ليدلَّ على أنَّ مَنْ لم يكن مع الحقِّ والإيمان؛ فهو مع الباطل.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّهي والكفُّ:

النَّهي فيه زجرٌ، والكفُّ بلا زجرٍ

انْتَهَى عن الشيء: كَفَّ عنه، وفي التنزيل العزيز: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38]، وقوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ﴾ [النحل: 90] إلى قوله: ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [النَّحل: 90]، أيْ: يحثُّ على فعل الخير، ويزجر عن الشَّرِّ، والانتهاءُ: الانزجار عمّا نهى عنه، قال تعالى: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا ٤٦﴾ [مريم: 46]، وقال: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الشُّعراء: 116]، والإنهاء في الأصل: إبلاغُ النَّهي[2].

أمّا الكفُّ؛ فالكِفايَةُ: ما فيه سدُّ الخَلَّةِ، وبلوغ المُراد في الأمر، قال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ [الأحزاب: 25]، وقال: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ

(1) البقاعيّ، أنوار التّنزيل: 5/ 377.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 826.

ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ [الحِجر: 95]، وقيل في معنى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ [النّساء: 79]: كفى اللّهُ شهيدًا، والباء زائدة، وقيل: معناه: اكْتَفِ باللّه شهيدًا.

الرَّجم والقتل:

الرَّجمُ هو القتل بالحجارة، والقتل بالرَّجمِ هو الضَّرب بالحجارة، غايتُهُ قتلُ المرجوم، وقد يأخذ معاني مجازية، فقوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾، يمكن أن يُفيد مجازًا الرَّجم بالقول، وهذا ما فعلوه مع مَنْ آمن به، فقالوا: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾، والقَتْل ضروبٌ مُخْتَلِفَة؛ لِأَنَّ القَتْل منه لا يُدرى أَيَقْتُلُهُ بضربةٍ أَم بضربتيْن أَم أكثر[1]؟.

القَتْلُ ضروبٌ مُخْتَلِفَة، والرَّجم بالحجارة غايته القتل

الكَذِبُ والخُلْف:

التَّكْذيب هو التصميم على أَنَّ الخَبَر كذبٌ بِالقطع عليه، ونقيضه التَّصْديق، ولا تطلق صفة المُكذِّب إِلّا لِمَنْ كذَّب بِالحَقِّ؛ لِأَنَّها صفةُ ذمٍّ، والفرق بين الخُلْف والكذب: أَنَّ الكذب هو أن تقول: فعلتُ كذا، ولم تفعلْهُ، والخلف لما يستقبل: وهو أن تقول: سأفعل كذا، ولا تفعله[2]، فيكون الكذب في الماضي والحاضر، ويكون الخلفُ في الاستقبال من الزَّمان.

يكونُ الكذبُ في الماضي والحاضر، ويكون الخُلْف في الاستقبال

الفتح والحكم:

الفتحُ هو الفصل بين الشَّيئَيْن؛ ليظهر ما وراءهما، وسُمّيت الأمطارُ فتوحًا، والفاتح: الحاكم[3]، وقد فتح بينهما، أيْ: حكم، ومنه قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: 89][4].

الفتحُ أعمُّ من الحُكم

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 104.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 45.
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: 7/ 9.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 396.

يجوز أَن يُقال: الحُكْم فصلُ الأَمرِ على الأَحْكام بِما يَقْتَضيهِ العقلُ والشَّرْعُ، فإذا قيل: حكم بِالباطِلِ؛ فمَعْناهُ أَنَّه جعل الباطِل مَوضِع الحقِّ، ويُسْتَعْمل الحُكم في مَواضِع لا يسْتَعْمل فيها القَضاء، كَقَوْلِك: حُكْمُ هَذا، كَحُكمِ هَذا، أَيْ: هما مُتماثلان في السَّبَب أَو العلَّة أَو نَحْو ذَلِك[1].

الـحُـكْـمُ هو الـفـصـل على شريعةٍ أو قانونٍ

الإغراق والإهلاك:

الإغراقُ: هو الإهلاكُ بماء النَّهر أو البحر، والإهلاكُ؛ هو الموت مع اختلاف أسبابه، فقوله: ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ﴾، أيْ: أمتنا كلَّ مَنْ كان حيًّا غير مؤمنٍ باللّه.

الباقون والآخرون:

الباقي هو الثابتُ بعد غيره، فهؤلاء الذين ثبتوا على كفرهِم، ولم يؤمنوا مع ما جاء من الدَّلائل العظيمة، فهذا نوح ﷺ يأسف لولده الذي بقي على كفره، فناداه، وهو يرى الماء يتدفَّق من كلِّ مكانٍ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود: 42]، فقال له: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: 43]، فدلَّ البقاء على الإصرار على الكُفْر، أمّا الآخَر؛ فيعني الثّاني، وكُلُّ شَيْء يجوز أَن يكون لَهُ ثالث وما فوق ذَلِك؛ يُقال فيهِ: آخَرُ.

الـبـاقـون هم الذين بقوا على كفرهم وأصرّوا عليه

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 190.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»